فيا ليتنى لم أعْلُ نشزا إليكـــــمُ حراما ولم أهبطْ من الأرض واديـــا
ولم أدْر ما جمعٌ وما جمرتا منـــى ولم ألق فى اللأقين حياً يمانيـــــا

وبدا واضحاً جمع الشريف بين حس البداوة وبين معجم الأماكن المقدسة والشعائر ، مسجلا بذلك حنينه ولهفته ، وبكاءه الذكريات ، فإذا به يضيق بالعراق ، فى مقابل لهفته على ما رأيناه لديه من رصيد الأماكن التى يحن إليها من خلال لغة التكرار التى يضيف من خلالها جبل الريان والنقا ، فى زحام معاودة الحديث عن منى ورمى الجمار ويوم النفر ...إلخ .

وتبدو اليائية قريبة فى صورتها الشكلية مما سبق أن عرضنا له من اليائيات ، فهى تحمل واقعا نفسيا يقترب أيضا من الواقع النفسى لشعراء تلك القصائد ، بدليل تكرار لغة هذا المعجم الحزين لدي الشريف الرضى نفسه ، فى رثائه لأبى إسحاق إبراهيم بن هلال الصابى ، وقد مرَّ على قبره ببغداد :

مَرَرْنا به فاستشرفتنا رسومُـــــه كما استشرف الروضُ الظباءَ الجوازيا

وإذا به أيضا يجهش بالبكاء على النحو الذى صوره قبل ذلك :

نزلنا إليه من ظهور جيادنـــــــا نكفكف بالأيدى الدموعَ الجواريـــا

وإذا به يردِّد لوحته حول الركب الرُّحَّل ، ويخاطبهم ويستعين بهم على لغة توزع بين الأمر والرجاء :

أقول لركب رائحين : تعرَّجـــــوا أريكم به فرعا من المجد ذاويـــــا
ألموا عليه عاقرين فإننـــــــــا إذا لم نجد عقرا عقرنا القوافيـــــا
وحُطوا به رحل المكارم والعـــــلا وكبوا الجفان عنده والمتاريـــــــا

وإذا به يستمر فى معجم النعى الذى بنى عليه القصيدة كما بنى سابقتها ، وكأنه بدا شديد القرب إلى واقع النفس الحزينة التى يعكس حزنها - بلا مواراة ، ولاخجل - من خلال الدموع الجوارى وعذر البواكى ، وذكريات الماضى ، والعجز عن إجابة الداعى ، ومرارة الليالى، وكثرة النواعى ، وموت الأمانى على النحو الذى ينشره بين أبيات تلك المرثية التى تضمه فنيا ونفسيا مع شعراء اليائيات السابقة التى عددناها موضعا للمعارضة الفنية لديه .